لابي الوليد بن سعيد امير · ورسالة لابي محمد بن القاسم في الترجيح بين الصابي والبديع وقد فضل البديع على الصابي وبتبعها رد من ابي عبد الله بن ابي الخصال في الانتصار للصابي · هذه نموذجات جزئية من الكتاب نشرناها على علاتها وربما سمح لنا الوقت بالرجوع اليه لنقل بعض جمل من كتب ابن سيده والموازنة بين الصابي والبديع ·

روح الاجتماع

قلت الكتب التي تنشر هذه الايام باللغة العربية ويراد منها بث علم نافع او تصحيح فكر سقيم وذلك لقلة المؤلفين والمترجمين ولقلة القارئين والعارفين · وكتاب روح الاجتماع الذي عربه عن الافرنسية احمد فتحي زغلول باشا هو من الاسفار التي يقصد بها مؤلفها نفع امته وتصحيح بعض اغلاطها والمؤلف هو الدكتور كوغستاف لوبون العلامة صاحب التآليف الممتعة ومنها كتاب « مدنية العرب » فقصد المعرب ان ينقل كتابه لامته لينتفعوا منه انتفاع الفرنسيين او بعضه · والمعرب الناقل قديم في صناعة التعريب صحت عزيمته حتى الآن على نشر بعض الكتب المفيدة ومنها « اصول الشرائع » لبنتام و « سر تقدم الانكليز السكسونيين » لديمولانس و « الاسلام » لهنري دي كاستري وهي من الكتب النافعة التي احدثت تأثيراً في وقتها واستفاد منها المستنيرون من قراء العربية ولا سيما من لم يساعدهم الحظ بتعلم لغة اجنبية لتناول مثل هذه الافكار من مصدرها الاصلي ·

ولو تصدق كل من حذق لغة اوربية واحكم اللسان العربي فنقل لامته كتاباً او كتابين لكان عندنا اليوم من المترجمات العصرية في العلوم والاجتماع لا في القصص والاساطير ما يبث خزانة كبرى تصبح معها لغتنا كاحدى اللغات الغربية بغناها بافكارها وكتبها الجديدة · وليست طلاوة الجديد كطلاوة القديم وما فقط كان العلم اعياني كالعلم العملي · لو تصدق كل واحد من ارباب الاقلام ودارسي اللغات والفنون لا يتصدق المرة بعد المرة امثال حضرات احمد فتحي زغلول · محمد فريد · عبد العزيز جاويش · عبد العزيز محمد · احمد زكي · صالح حمدي حماد وامثالهم من المعاصرين الذين عنوا بعلوم الغرب وطلبوا في مدة غليان الافكار من طريق العلم ·

كتاب روح الاجتماع هو « في بيان احوال الجماعات وما يعرض للفرد مجتمعاً من

تغير المشاعر واختلاف النظر وتبدل حكمه فيما يحيط به » حلل فيه المؤلف روح المجتمعات الحديثة ولا سيما في فرنسا تحليلاً نفسياً فلسفياً غير ناظر الى اكثر ما يتعلق به بعض ضعاف المؤرخين من الحوادث بل ناظر الى الدواعي النفسية والمعتقدات والعادات نظر المستبصر الناقد علماً منه بان « الحوادث الظاهرة مثل الامواج الناصعة التي تدحرج فوق سطح البحر عما هو واقع في جوفه من الاضطرابات التي حدثت عنا ونحن اذا نظرنا الى الجماعات رأيناها تأتي من الاعمال بما يدل على انحطاط مداركها انحطاطاً كلياً غير ان لها اعمالاً اخرى يظهر انها منقادة فيها بقوة خفية سماها الاقدمون قدراً وطبيعة او يداً صمدانية وسماها اهل هذا الزمان صوت من في القبور »

« واحرج الازمنة في تطور الفكر الانساني زماننا هذا ولهذا التطور عاملان اصليان : الاول تهدم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تتكون منها عناصر المدنية الحاضرة والثاني قيام احوال جديدة ونشوء افكار جديدة في الحياة تولدت كلها من الاكتشافات العصرية العلمية والصناعية . ولما كان تهدم الافكار القديمة لم يتم ولم تزل قوتها وكانت الافكار التي ستحل محلها في دور تكونها كان الزمن الحاضر زمن تحول وفوضى . . . .

« ولكن الذي نراه منذ الساعة انه سيكون امام تلك الامم قوة عظيمة لا بد لها من الاعتداد بها لانها اكبر قوة وجدت اريد بها قوة الجماعات تلك القوة التي قامت حتى الآن وحدها على اطلال الافكار البالية التي كان الناس يعتقدونها حقائق وماتت وعاشت بعد ان حطمت الثورات المختلفة كل سلطة كانت تتحكم في الناس وهي القوة التي يظهر لنا ان مصيرها ابتلاع ما عداها في القريب العاجل الا ترى ان معتقداتنا القديمة اخذت تهتز من وهن اساسها وان اساطين المجتمعات القديمة تتداعى وتنحط وان سلطة الجماعات هي وحدها التي لا يهددها طارئ بل هي تعظم وتنمو وعليه فالدور الذي نحن قادمون عليه هو دور الجماعات لا محالة . . .

« الجماعات اقدر على العمل منها على التفكير وقد اصبحت بنظامها الحاضر ذات قوة كبرى ومما قريب يكون للمذاهب التي نراها اليوم في دور التكون من السلطان العظيم على الافكار ما للمذاهب التي رسخت اصولها في الاعتقادات اعني سلطة مستبدة لا تأثير فوق تأثيره فلا تعود تحتمل البحث او الجدل وحينئذ يقوم حق الجماعات المقدس

مظالم حتى الملوك الاقدمين .

ينحصر الاثر الواضح لعمل الجماعات حتى الآن في هدم صروح المدنية فالتاريخ يدلنا على انه كلما وهنت القوى الادبية التي يقوم عليها بناء تقدم امة من الامم كانت خاتمة الانحلال تأتي بيد تلك الجماعات الوحشية اللاشعورية التي سميت بحق متبربرة اما الذين اقاموا صروح المدنية وشيدوا اركان الحضارة فنفر قليل امتازوا بسمو المدارك وبعد النظر ولكنا لم نر حتى الآن للجماعات اثراً مثل هذا فهي لا تسعى الا في الهدم والتحطيم وزمان حكمها زمان بربرية في الدوام لان المدنية لا تقوم الا على مبادئ مقررة ونظام ثابت وانتقال من العمل بمقتضى الغريزة الى الاهتداء بنور العقل والتبصر في المستقبل ومرتبة راقية من العلم والتهذيب وتلك وسائل برهنت الجماعات على انها عاجزة عن تحقيقها اذا تركت وشأنها — ومثل الجماعات في قوتها الهادمة مثل المكروبات التي تعجل بانحلال الاجسام الضعيفة وتساعد على تحلل الاجساد الميتة فاذا نخرت بناء مدنية تولت الجماعات نقض بنائها هنالك يظهر شأنها الاول ويخيل لنا بادئ بدء ان العامل في حوادث التاريخ هو كثرة العدد . انا نخشى ان يكون هذا ايضاً مصير مدنيتنا لكن ذلك الذي لا نعرف منه شيئاً حتى الآن . . .

فمعرفة روح الجماعات اصبحت اليوم آخر ملجأ يأوي اليه السياسي العاقل لا لأجل ان يحكمها فقد صار ذلك الآن صعباً كثيراً بل ليخفف عنه شدة تأثيرها . واذا اردنا ان نعرف ضعف تأثير الخطب والمطالعات في الجماعات فما السبيل الى ذلك الا البحث في حركة روحها والوقوف على احوالها النفسية وبذلك نفهم ايضاً انها لا قدرة لها على تكوين رأي او التفكير في شيء خارج عن الدائرة التي رسمت لها وانها لا تتأثر بقواعد العدل النظرية بل تبحث عما من شأنه التأثير فيها او اجتذابها .

« ان الجماعات لا تعرف من الشعور الا ما كان متطرفاً بسيطاً وهي لذلك تقبل ما يلقى اليها من الآراء والافكار والمعتقدات بجملتها او ترفضها كذلك فتأخذها حقائق مطلقة او ترفضها اباطيل مطلقة . بل ان هذا هو الشأن في المعتقدات التي تحصل من طريق التلقين لا التي تحصل للانسان من طريق النظر والتعقل وكل يعرف ما للمعتقدات الدينية من التأثير في عدم احتمال المخالف ومن السلطان على النفوس .

« وما كان باب الشك غير مفتوح امام الجماعة في كل ما اعتقدت انه حق او باطل وكانت تشعر شعوراً تاماً بقوتها كانت اوامرها مستبدة بقدر احتمالها . يطيق الفرد

للناظرة والغالب لما الجماعة فلا تحتمل ذلك ابداً والقول الفصل يأتي به الخطيب الذي يتكلم في المجتمعات العمومية يتلقاه السامعون باصوات الغضب والسباب الشديد فان اصر تعقبته الاهانة والطرد لا محال ولولا الرهبة من رجال الشرطة الحاضرين لقتلوه احياناً . . . . .

وانك لتجد بعض الافكار وانها عن قصد التاريخ في النفوس وربما حذا كما قال في كتابه حدود دلالة الاشتراكية العصرية ممن يستعملون التوكيد والتكرار ومثال في الثاني [illegible] من ذلك قوله ان المذاهب التي ضد الناس من ارباب الافكار العالية وسائر الناس [illegible] ومثل قوله مثال التعصب وعدم الاحتمال عماء في النفوس كل معتقد ديني ولا دمان كل من اعتقد انه ملك ناصية السعادة في الحياة . في الآخرة وهاتان الصفتان توجدان في كل جماعة تحركت باحد المعتقدات التي كان اليعقوبيون [illegible] الاول متدينين كما كان اهل الاضطهاد متدينين لانهم جماعة العرب في القسوة واحد .

كذلك تظهر معتقدات الجماعات بالخضوع الاعمى والتعصب الوحشي والاكراه في الدعوة وكلها صفات من لوازم الشعور الديني وما البطل الذي تهلل الجماعة له الا اله في الحقيقة . هكذا كان نابليون مدى خمسة عشر عاماً ولم يكن لمعبود سواه عباد اشد اخلاصاً منهم [illegible] في معبود تيادة النفوس الى حتفها اكثر منه وما كان للآلهة الوثنية والنصرانية سلطان في القلوب اعز من سلطانه .

[illegible] المذاهب السياسية لم يسودوا الا لانهم تمكنوا من احداث التعصب الذي يجعل الانسان يرى سعادته في العبادة والطاعة وبذل حياته [illegible] . . . ليس الحكم في النفوس في هذا الزمان معبودها كل ذلك من صور وتماثيل والسادة التي يعبدون بها لا تختلف كثيراً عما كانوا يعبدون ومعرفة فلسفة التاريخ تتوقف على اجادة معرفة هذا البحث في علم روح الاجتماع . . . .

وقال : لا يقوم سلطان الفاتحين ولا قوة الحكومة في تحويل الامم ولا تحرك الجماعات الا [illegible] وكل حوادث التاريخ العظيمة كايجاد البوذية وتشييد [illegible] المسيحية والاسلام [illegible] والثورة في مصر وكالثورة الاشتراكية المرتعبة في هذه الايام هي نتائج قريبة او بعيدة لثورات شديدة في تحويل الجماعات . ذلك هو العلة في ان جميع الطغاة السياسة في كل عصر وفي كل امة

حتى اشدهم استبداداً . اعتبروا تخيل الجماهير اساساً تقوم عليه قوتهم وما فكروا يوماً في ان يحكموا الناس بدونه .

قال نابليون في مجلس شورى الحكومة (اني اتممت حرب الفنديين لما تكثلكت واستوليت على مصر اذ أسلمت وتوجت بالظفر في حرب ايطاليا لاني قلت بعصمة البابا ولو كنت احكم شعباً يهودياً لاعدت معبد سليمان) ويظهر لي انه لم يقم منذ الاسكندر الاكبر وقيصر بين عظماء الرجال من عرف كيف يكون التأثير في تخيل الجماعات مثل نابليون فقد كان ذلك التأثير همه الدائم ما نسيه في انتصاراته وخطبه واحاديثه ولا في عمل من اعماله وكان يفكر فيه وهو على سرير موته .

وقد اجاد المؤلف في كلامه على افكار الجماعات ومعتقداتها ولا سيما في فصل التربية والتعليم واثباته بالاحصاء ان الميل الى الجرائم يزداد بانتشار التعليم او هو يزداد بانتشاره على طريقة مخصوصة وان الامم اللاتينية اسست تعليمها على قواعد غير صحيحة تنمي الكفاءات الذهنية ولا تؤثر في رقي الاخلاق وان طريقة الانكليز السكسونيين غير طريقتهم فليس لهؤلاء مدارس خصوصية بقدر ما لفرنسا والتعليم عندهم لا يتلقى من الكتاب بل من الشيء نفسه فالمهندس مثلاً يتكون في المصنع لا في المدرسة وهو ما يسمح لكل واحد ان يصل في حرفته الى الحد الذي تصل قدرته العقلية فيكون عاملاً او رئيس عمال اذا قعد به الذكاء عند هذا القدر وهو مهندس اذا قاده استعداده الى هذا الدرج .

واحسن ما شاء الاحسان في الكلام على الصور والالفاظ والجمل وما لها من السلطان على النفوس فقال ان الالفاظ والمعاني قد تختلف معانيها في قرن عن قرن وفي امة عن امة فمعنى الديمقراطية عند الجنس اللاتيني انزواء ارادة الفرد واقدامه على العمل من نفسه امام ارادة المجموع وهمته والمجموع تشخصه الحكومة فالحكومة هي المكلفة لادارة كل شيء وحصر كل شيء واحتكار كل شيء وصنع كل شيء وهي التي تلجأ اليه دائماً الاحزاب بلا استثناء من احرار الى اشتراكيين الى ملكيين وعلى الضد من ذلك يفهم الانكليزي السكسوني وبالاخص الاميركي من كلمة ديمقراطية نمو ارادة الفرد واقدامه الذاتي الى الحد الاقصى وانزواء الحكومة بقدر ما امكن فلا تكلف بعد الشرطة والجيش والعلاقات السياسية بشيء حتى التعليم وعليه فاللفظ الواحد يفيد في بلد جمود ارادة الفرد وسكون اقدامه الذاتي واستعلاء كلمة الحكومة

ويفيد في ظل آخر ازواء هذه ، وارتفاع صوت الأول .

وهكذا زاد الموضوع جلاء في الفصول التي عقدها المؤلف بعد هذا الفصل واضح لا يتعذر فهمه في الطبقات المتوسطة في المعرفة وجود الكلام في المجالس النيابية إلى الجادة وبيان مواقع الضعف والقوة من الملفا وهو فصل كنا نتمنى لو نقله برمته أو تلخيصه على الأقل لا سيما والامة اليوم في مصر تطالب بدستورها وفي البلاد العثمانية نالته ولكنه ما زال منقولاً عن أوروبا نقلاً لم يطبق على العمل الوطني القائم بالرجوع إليه .

ويعد فهذا مضمون الكتاب وموضوعه مصدر؟ وقد بان منه اسلوب معربه من الجمل التي نقلناها حرفياً آنفاً ومن قابل بين سلامة العبارة هنا وضعفها في كتاب أصول الشرائع يدرك سر التطور في العمل وأن مدرسة الزمن في أعظم مخرج لأمثال الماهرين . وما بقيت بعض هفوات لغوية تعلق في أساليب المؤلف ومنها ما سرى إليه من لغة الجرائد ونص عليه أهل اللغة مثل الحريري وعبد اللطيف البغدادي والسيوطي وغيرهم . وذلك مثل قوله « لا نراها إلا رؤيا فقط » والصواب رؤية لأن الرؤيا تكون في النوم والرؤية في اليقظة . واستعماله (الظروف) بدلاً من الأحوال والظروف لا تعطي هذا المعنى واستعماله (حيث) في غير مكانها واستعماله (التام) كثيراً مثل (واضحة تمام الوضوح . تخالف تمام المخالفة . ويقدم فيها ذات الشامي تماماً) والصحيح أن يقال واضحة كل الوضوح ومنها قوله (رجل تام) والأحسن أن يقال كامل أو تام الأدوات أو نحو ذلك واستعمل (تركز في) وهذه الصيغة لم تسمع إلا في لغة الجرائد العصرية .

ومثل ذلك (تجرد بعضهم إلى بعض) والأحسن أن يقال بعضهم إلى بعض ومثله (رغماً عما ذهب إليه) والأولى أن يقال على الرغم مما . ومثله (يضحي مصلحته المادية) وهذا التعبير فيما أحسب هو من تركيبات الجرائد الشامية القديمة سرى إلى مصر فاستعملها حتى الإمام الكاتب في غير روية وهو تعبير افرنجي والأحذر أن يقول فادى بدلاً من ضحى . ومثله (كان فرد مشهور) والصواب أن يقول مشهور وأوسعنيه ومثله (منقولة عادة إلى) وهو أسلوب غربي مثل بالسهولة وبالصعوبة وحياً وانتقاماً وبلا عدد ويمكن الاستعاضة عن هذه الكلمات بألفاظ أو تراكيب أقرب إلى الأسلوب العربي .

ومنها (مندهش) والاحسن مدهوش و (متحير) والاحسن حائر ومنها استعمال (الاجيال) للتعبير عن القرون والعصور . وما الاجيال الا اصناف من الناس في ما ذكر . واستعمال (مراسح اللهو) والاولى ان يقال مسارح ومنها [illegible] عنيفة وغير ذلك وهي من المدونة وكثير من الفاظ اللغة التي تدل على معانيها [illegible] عن استعمالها . ومنها [illegible] عن الناس وهي من الالفاظ العامية . والاعجمية وهي غير عربية بل تركية مثل [illegible] و[illegible] . والارضي [illegible] وليس في اللغة وضوح يعني [illegible] او الالهاء ولكن الوضوح العطاء القليل وفي مقامات الحريري ما يدل [illegible] رضخ بها له . وقد عدى بعضهم بعلى والصواب تعديها بفي . ومنها مقاصير العلماء والملة [illegible] وان كانت شائعة في هذه الصورة للتعبير عن كبار العلماء لكثرة [illegible] للعلماء استعمالها ولا [illegible] بهذا المعنى [illegible] ومنها (الاخذ عن ظهر القلب) والاحسن ان يقال الاستظهار وهي اخصر واجمل .

وجمع مشروع على مشروعات والاحسن جمعه على مشاريع . ومنها (العداء [illegible] اشتد ضد الحكومة) والذوق العربي يقضي بان يقال على الحكومة ومنها جمع [illegible] الشكل والصواب [illegible] بها ومنها [illegible] ما كانت له [illegible] والصواب [illegible] والاولى استعمال [illegible] . ومثل جمعه عادة على عوائد كالاستعمال الشائع والاحسن جمعها على عادات وعاد ومنها جمعه لواء على لوات والصواب ألوية .

ويستعمل من التراكيب الشائعة لولاه هي مما خرج عن قواعد اللغة ولو انه [illegible] مسرحه والصواب لولاها . ولولاه هي من تراكيب عامة المصريين ومثلها لولاهي ما [illegible] الائمة والصواب لولاه . ومثل النصب في التاجر [illegible] الا [illegible] النصب معروفة بالعامية بهذا المعنى ومثله من [illegible] [illegible] الاحسن ومنها [illegible] واحد من اهلها والاولى [illegible] ومنها [illegible] من المستعملين والاسلوب الصحيح ان يقال [illegible] ومنها تشكيل محكمة وهي مما سرى الينا من التركية والصواب اجراء محكمة والتشكيل معنى آخر في هذا ومنها استعمال [illegible] للدواوين و[illegible] لفظة عامية مصرية .

وهناك بعض التراكيب التي تقع احيانا في الكتابة وهي [illegible] فيها الرجعية لم تشق [illegible] العربية [illegible] احد [illegible] [illegible] الوقت وكان منها كثيراً من [illegible] الحكومة التي تضع [illegible]

الشهادات والذين اضطربت قواهم العقلية الى النصف ولا تلبث المياه ان تعود الى مجاريها وغير ذلك .

ومنها بعض التراكيب التي فيها شيء من ركاكة وسقم مثل غرق ٨٥٠ مركب شراعي و٣٠٣ مركب تجاري والصواب ٨٥٠ مركباً شراعياً و٣٠٣ مراكب تجارية . ومن عرف كيف يؤثر في تخيل الجماعات عرف كيف يقودها . لا دخل لتلك النظريات لا في سعادة ولا في شقاء . فانه كان رجلاً قوياً لا ذكاء فيه لكن ذا عزم ومضاء . أنحى على العالم العطش .

وخالف مألوف المعربين في ترجمة السنديكات بالجمعيات وقد اصطلحوا على تعريبها بالنقابات وهي اولى وترجم البورصات بغرف التجارة وغرف التجارة كما لا يخفى هي غير البورصات وعرب الغيلوتين التي كانت تقطع الرؤوس في فرنسا بالمنجلة ووضع لها بعضهم المقصلة ولفظها احسن . وبقي بعض الالفاظ بلفظها مثل (ماندران) وهو الحاكم الصيني و(الاردواز) وهو لوح الحجر .

ولكن هذه الالفاظ والتراكيب القليلة لا تقدح في فضل الترجمة خصوصاً واكثرها مما عمت البلوى باستعماله ولكن كنا نود ان يكون ذلك الثوب النفيس خالياً من الشوائب ليجيء كتاب اليوم مستوفي الشروط من حيث اصله وفرعه ولغته ورشاقته وضبطه ووضعه وعسى ان تكون مترجمات المعرب المشار اليه في الايام المقبلة اتم واكمل لتزيد منها الفائدة للعالمين والمتعلمين والله لا يضيع اجر المحسنين .

* * *